قصة النبي نوح (عليه السلام) وابنه

مدخل : النبي نوح عليه السلام أول أنبياء أولي العزم والولد التاسع من ذرية آدم عليه السلام، والنبي الرابع من بعده من ذرية أدريس بن شيث بن آدم "عليه السلام " ، وهو أول الأنبياء الذي أنزل الله تعالى العذاب في زمانه على الخلق فقد أن أغرقهم بالطوفان بسبب كفر قومه بالله تعالى بعد أن دعاهم نوح عليه السلام إلى التوحيد وعبادة الله تعالى 950 سنة، وقد أمر الله تعالى نوحاً بصناعة السفينة لكي ينجو هو ومن معه من المؤمنين من الطوفان، وقد ذكرت العديد من الآيات القرآنية قصة نوح "عليه السلام" ، كما وصفه القرآن بأنَّه (كان عبداً شكوراً).

سُمي نوح بشيخ الأنبياء بسبب طول عمره،. وكان لنوح أربعة أولاد آمن جميعهم به، إلا ولده كنعان، فقد كفر وهلك بالطوفان.

نبوة النبي نوح "عليه السلام"

نوح عليه السلام هو رابع الأنبياء بعد آدم، وشيث، وإدريس عليها السلام، وهو أول أنبياء أولي العزم الذين يعتقد الكثير من المفسرين بأنَّ منزلتهم ومكانتهم الخاصة من بين الأنبياء جاءت من كونهم أصحاب شريعة وكتاب سماوي.

وقع اختلاف في وقت بعثة نوح عليه السلام إلى قومه، وفقا لآيات القرآن فإنَّ نوحاًعليه السلام طوال مدة دعوته لقومه قبل الطوفان بقي قومه مُصرون على عبادة الأصنام، وذكر القرآن إنَّ الأصنام التي كانوا يعبدونها هي: وَدّ، سُواع، يَغوث، يَعوق، ونَسر، وعلى الرغم من دعوة النبي نوح عليه السلام لقومه ومبالغته في النصح لهم من أجل ترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده لم يؤمن من قومه إلا القليل، وكانت امرأة نوح من الكافرين فقد كانت تقول للناس إنَّه مجنونٌ، وإذا آمن أحدٌ بنوح أخبرت الجبابرة الكفار من قومه ليصدوه عن الإيمان، وكذلك الحال بالنسبة لولده كنعان الذي غرق بسبب الطوفان الذي ذكره القرآن الكريم.

يعتقد أكثر علماء الشيعة تبعاً لروايات أهل البيت عليه السلام إنَّ دعوة نوح عليه السلام دعوة عامة وأنَّه مبعوث إلى الناس كافة، وأنَّ كتابه أول الكتب السماوية المشتملة على شرائع الله وأنَّ شريعته أول الشرائع الإلهية، واختلف علماء أهل السنة في أنَّ رسالة نوح عليه السلام كانت عامة أم خاصة لقوم كلده وآشور في الشام والعراق.

صفاته الخُلقيّة

لقد ذكر القرآن الكريم لنوح "عليه السلام" عدة صفات: فقد اصطفاه الله على العالمين، وعدّه من المحسنين، وسماه عبداً شكوراً، وعدّه من عباده المؤمنين، وسمّاه عبداً صالحاً.

وذكرت الروايات الواردة عن أهل البيت "عليهم السلام" العديد من الصفات الخُلقية التي تَحلّى بها النبي نوح "عليه السلام" ، ومنها: أنَّه كان عبداً لله كثير الشكر فقد كان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء شكر الله، وروي عن أمامنا الصادق "عليه السلام" أنَّه إذا أصبح وأمسى قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ مَا أَصْبَحَ أَوْ أَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ بِهَا عَلَيَّ حَتَّى تَرْضَى؛))ولذلك وصفه القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾

وذكرت روايات أخرى إنَّ نوحاً يُسمى بشيخ الأنبياء بسبب عمره الطويل، ولما أتاه ملك الموت لقبض روحه – وكان جالساً في الشمس – فسأله عن حاجته قبل قبض روحه، فطلب منه أن يُمهله حتى ينتقل من الشمس إلى الظل، فتحوّل ثم قالعليه السلام: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ فَكَأَنَّ مَا مَرَّ بِي مِنَ الدُّنْيَا مِثْلُ تَحَوَّلِي مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ، فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَبَضَ رُوحَهُ.

أولاده

أشار القرآن والكثير من الروايات إلى أبناء نوح عليه السلام قبل الطوفان، ولكن بعض أولاده ولدوا بعد الطوفان، لنوح عليه السلام أربعة أولاد وهم: سام، حام، يافث، وكنعان. كل أولاده عدا كنعان كانوا مؤمنين بنبوته وقد ركبوا معه السفينة وقت الطوفان. لقد ذكرت المصادر التاريخية إنَّ كنعان لم يؤمن بنبوة أبيه نوح عليه السلام وقد غرق بالطوفان. ذكر بعض المفسرين أنَّ نسل نوح عليه السلام كان من أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، فأما سام فأبو العرب وفارس والرّوم، وحام أبو الحبش وجميع السّودان والسّند والهند والبربر، ويافث أبو التّرك ويأجوج ومأجوج.

طول عمره

ذكر القرآن الكريم إنَّ مدة عمر نوحعليه السلام قبل الطوفان 950 سنة، وبسبب عدم ذكر عمره الكامل في القرآن وقع الاختلاف في مدة عمره بين العلماء، سُمي نوح بشيخ الأنبياء، وذُكر أنَّ عمره من 930 سنة إلى 2500 سنة في كتب التاريخ .

يعتقد السيد نعمة الله الجزائري إنَّ أكثر الروايات المعتبرة في عمر النبي نوح عليه السلام ذكرت أن عمره كان 2500 سنة، ذكر السيد الطباطبائي: إنَّ القرآن الكريم ذكر أنَّ عمر نوح عليه السلام كان طويلاً وأنَّه دعا قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقد ذكر بعض العلماء إنَّ طول عمره كان كرامة له خارقة للعادة وإنَّ هذه هي معجزته؛ لأنَّه عَمَّرَ ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة، ثم قال السيد الطباطبائي: والحق أنَّه لم يقم حتى الآن دليل على امتناع أن يعمر الإنسان مثل هذه الأعمار، بل الأقرب في الاعتبار أن يعمر البشر الأولي بأزيد من الأعمار الطبيعية اليوم بكثير لما كان لهم من بساطة العيش ،وقلة الهموم وقلة الأمراض المسلطة علينا اليوم، وغير ذلك من الأسباب الهادمة للحياة.

سفينة نوح

بُعث نوح وهو ابن أربعمائة سنة وكان يدعو قومه لعبادة الله تعالى ليلاً ونهاراً فلم يزدهم ذلك إلا عناداً وكفراً، فقد كانوا يضربوه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاقَ قال: اللهم إهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، ولما استمروا على ذلك أوحى الله له أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعندها أقبلعليه السلام على الدعاء فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ﴾، فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء، وأصابهم الجهد والبلاء، ثم قال لهم نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً﴾ فلم يؤمنوا ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾،

ثم قال نوحٌ عليه السلام: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾، فأوحى الله إليه ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾، واستمر في صنع السفينة مائتي سنة، وفي رواية أخرى ثلاثين سنة، فجعل قومه يضحكون ويسخرون منه ويقولون: قعد ملاحاً في أرض فلاة، ولقد ذكرت الروايات وكتب التاريخ عدة أوصاف لسفينة نوحعليه السلام، ومنها: إنَّ طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً،وجاء وصفها في التوراة كالآتي: طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وسمكها ثلاثين ذراعاً، وكانت من خشب الششاد مقيّرة بالقار.

الطوفان

لما كان اليوم الذي أراد الله إهلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الذي يُعرف بفار التنور في مسجد الكوفة فصاحت لما فار التنور، فجاء نوحٌ إلى التنور فوضع طيناً وختمه وأدخل جميع من كان معه إلى السفينة، ثم جاء إلى التنور وفض الخاتم ورفع الطين، وانكسفت الشمس نزل من السماء ماءٌ منهمرٌ صَبٌّ بلا قطر وتفجرت الأرض عيوناً، وارتفع الماء على كل جبل وعلى كل سهل خمسة عشر ذراعاً، وقد أغرق الله تعالى جميع الأرض إلا البيت فمن يومئذ سُمي بـ (البيت العتيق)، وذكر المؤرخون أنَّه كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوهم وأنَّهم أقاموا في

السفينة مائة وخمسين يوماً، وإنَّ الله تعالى وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله تعالى إلى الجودي.

وذكر المؤرخون أنَّه كان بين إرسال الله الماء في الطوفان وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال، وكان ركوب نوح في السفينة في مستهل شهر رجب، وقيل: لعشر ليال مضت من رجب، وكان أيضا لعشر ليال خلت من شهر آب، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم.

غرق ابنه كنعان :

ولما جاء موعد الطوفان الكبير، أمر نبي الله نوح عليه السلام قومه المؤمنين أن يركبوا معه في السفينة كما قال الله تعالى عز وجل (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (سورة هود/اية 41). فلما ركب نوح عليه السلام السفينة هو ومن ءامن معه فتح الله عز وجل أبواب السماء بماء منهمر كثير فصارت السماء تمطر بغزارة، وفجر الله تعالى عيون الأرض فالتقى ماء السماء وماء الأرض وكان الطوفان الكبير الذي غطى أرجاء المعمورة ورأى نوح عليه السلام ابنه "كنعان" وكان كافرًا عنيدًا كذب والدهُ ولم يؤمن بما جاء به من عند الله تعالى، وكان يقف متنحيا، فأشفق نوح على ابنه "كنعان" فدعاه أن يؤمن ويركب معه في السفينة مع من ءامن فلا يغرق مثل ما يغرق الكافرون، ولكنه أبى وأصر على كفره واعتقد لجهله أن الطوفان لا يصل إلى رؤوس الجبال. فقال ردا على أبيه نوح وفي كبر

وغرور (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء) (سورة هود/ءاية 43) فقال له أبوه نوح عليه السلام ما أخبر الله عز وجل عنه (قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ) (سورة هود/ءاية 43)

ثم كان من الأمر كما قال تعالى (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) (سورة هود/ءاية 43) حيث أنهى الموج الهائج حوار الأب مع ابنه فنظر نوح عليه السلام فلم يجد ابنه ووجد الأمواج الهائلة كالجبال الشاهقة، فغرق كنعان مع من غرق من الكافرين بذلك خسر الدنيا والآخرة ولم تنفعه درجة قرابته من أبيه مع كفره وتكبره عن الإيمان واتباع الحق الذي جاء به أبوه نوح عليه السلام، فليس للنسب هنا اعتبار فكل إنسان مجزي بعمله كما قال الله عز وجل (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) أي مرهونة بعملها إن كانت خيرا فخير وإن كانت شرا فعذاب شديد، يقول الله تبارك وتعالى (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى) (سورة النجم/ءاية 39-41)

وفاته

ذكروا أنَّه توفي بعد مضي ثلاثمائة وخمسون سنة على الطوفان، وكان له من العمر 2500 سنة وقيل 950 سنة، وقد وقع الاختلاف في محل دفنه فقد ورد في كتب الأدعية والزيارات في زيارة أمير المؤمنين "عليه السلام" أنَّ نوحاًعليه السلام مدفون بجوار الإمام علي عليه السلام: ((السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى ضَجِيعَيْكَ آدَمَ وَنُوحٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)) وقد رويت هذه الزيارة عن الخضرعليه السلام، وعن الإمام الصادق عليه السلام، ، ويوجد أقوال أخرى في وفاة النبي نوح عليه السلام، ومدفنه، فقيل إنَّه توفي بإحدى القرى القريبة من الموصل، وقيل: بمكة أو الهند أو بابل أو كرك وحدد بعض المؤرخين مكان قبره عليه السلام في مكة وأنَّه يقع بين حجر إسماعيل وزمزم، وذكر آخرون أنَّ قبره في أرض القدس بالمغارة، وقال قوم: الدكّة التي بالغريّ هي قبر نوح.

علاقة نوح بأهل البيت عليه السلام

ذكرت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إنَّ لنوح "عليه السلام" علاقة حب وولاء لأهل البيت عليهم السلام كالرواية الواردة عن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم " التي ذكر فيها أنَّه لما أُمر نوح عليه السلام بصنع السفينة كان هناك خمسة مسامير على أسماء أصحاب الكساءعليه السلام أمره جبرئيل أن يسمرها في السفينة فسمرها.

ولم تقتصر علاقة نوح بأهل البيت عليهم السلام في الدنيا، بل ذكرت الروايات – كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام – إنَّ نوحاًعليه السلام يطلب يوم القيامة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشهد له بالتبليغ أمام الله تعالى فيأمرصلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب أن يشهدا له فيشهدان.